الفصل الدراسي الثاني / جماعة المهجر الجزء الثاني

تتمة الاتجاهات الشعرية/ ثانياً– الاتجاه الإنساني:

س/ ما هي المعاني التي تضمنها الاتجاه الإنساني في شعر المهجر؟

1/ ظهرت في شعر المهجر كله نزعة إنسانية واضحة **تدعو إلى الأخوة والمحبة والوحدة بين الناس وترفض الظلم والكراهية والتفرقة.** والواقع أن شعراء المهجر عموماً قد دعوا في شعرهم إلى نشر المبادئ السامية، والمثل العليا بين الناس ومحاربة(النظم الإدارية) التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان، وشكلت الدعوة الإنسانية ظاهرة بارزة في **ديواني الخمائل والجداول** لأبي ماضي وكذلك **قصيدة أخي لميخائيل نعيمة،** وفي قول **نعمة فازان** خير ما يؤكد سماحة نفسه وطيب قلبه:

ألا فاشربوا الوحي من جرتي ولا بأس أن تكسروا جرتي

إذا كان فيها الحياة اشربوا ولا ترفعوها على صحتي

وهدفت قصائدهم إلى تصوير حال الفقراء وما يعانوه من شظف العيش في تصوير فني يحمل الزهو والفخر بمهن شريفة فكانت قصائدهم: **بائع السوس، وبياع الجرائد، والعاملة، والخباز، والشرطي، والفلاح** تؤكد هذا المنحى. وهذه الموضوعات تذكرنا بموضوعات العقاد بديوانه عابر سبيل التي تظهر فيها الواقعية بكل ما تمتلك من صدق وحيوية ودقة وهي قصائد تنتمي جميعاً إلى هذه النزعة الإنسانية التي تستمد من الإنسان الكادح مادتها التصويرية لتؤكد ما يحس بها من صدق في العواطف ونبل في المشاعر واحساس بالقيم البشرية والإنسانية **وبهذا يتبين الميل إلى الشعر الواقعي وبداية لظهور النزعة الواقعية في الشعر الحر.**

2/ ومن المعاني التي تضمنتها هذه النزعة في شعر المهجر **الدعوة إلى الثورة على التقاليد الاجتماعية** التي تحد من حركة الإنسان وحريته وطاقته فقد ثاروا على الإقطاع وعلى التفرقة الدينية والمذهبية وأكدوا حرية المرأة.

3/ ومن ذلك أيضاً **دعوتهم إلى المحبة بين البشر والإخاء والتسامح والتعاطف والتعاون ووقفوا من مشكلة الفقر والغنى موقفاً رومانسياً** إذ لم ينادوا بالثورة على الأغنياء بل استعطفوهم الرفق بالفقراء وحملوا الطبيعة البشرية أسباب هذا الظلم.

عللي ولا بد من تعليل لهذه النزعة الإنسانية التي اتجه إليها شعراء المهجر، أهي حصيلة للأفكار الغربية والبيئة الأمريكية وما يتصل بها من تقدم حضاري ووعي اجتماعي وتطور

أدبي؟ أم أنها في أصلها أثر من آثار الرسالة الروحية التي حملها الإسلام وحملتها المسيحية في بيئاتهم المشرقية التي تأصلت في نفوسهم وصارت الموجه الأساس لعلاقاتهم وتفكيرهم؟

الجواب: أغلب الظن أن البيئة المهجرية الجديدة لم تحمل هذه البذور الإنسانية التي انطبعت عليها نفوس هؤلاء الشعراء لما تتضمنه من اعتداد بالمادة وحضارتها التي وجهت ولا تزال سلوك الفرد والجماعة في الغرب والتي ابتعدت عن كل أوجه النشاط الإنساني مع سعي إلى المادية الصرفة بعيداً عن المثل التي تنادي بها الأديان السماوية وقيمها الروحية.

ناهيك عن أن الدين فقد وظيفته الحقيقية حين صوب الإنسان نظره إلى معطيات العلم وفقد تلك القيم التي تنادي بها الأديان السماوية، لذلك نرى أن المعاني الإنسانية التي احتشدت في شعر المهجر تمتد إلى تلك القيم الروحية التي ظل الإنسان المشرقي ولا يزال يحملها ويعتد بها، ويصدر عنها في كل علاقاته وتصرفاته ومواقفه. وربما يظهر هذا الأثر الروحي في أبيات (فرحات) التي يقول فيها:(حفظ)

وحدت أو أشركت ننبك واحد إن كنت بين الناس غير موحد

سكنوا مناطق جمة فتعددت ألوانهم والنوع لم يتعدد

فإذا حكمت على أمرئ لسواده فلقد حكمت على حسام مغمد

فلرب قلب كالجمانة أبيض للخير يخفق تحت جلد أسود

وهكذا راح شعراء المهجر يستنبطون المعاني والقيم من الكتب الدينية المقدسة، ومن تراثهم المشرقي الخالد، ويأخذون من مجتمعهم المشرقي وعاداته وأعرافه وقيمه ومثله كل المعاني، ويعتمدون أفكاره ليملئوا بها شعرهم ويضمنوها قصائدهم حتى امتلأت ثراءً فكرياً واحتشدت بالمعاني المبتكرة التي لم يألفها الشعر العربي وإنما ألفها من قبل شعرنا في المشرق العربي عند مجموعة من الشعراء كالرصافي والزهاوي وحافظ إبراهيم وغيرهم.

ثالثاً– الاتجاه الوطني والقومي:

1/ تتمثل أصالة الشاعر المهجري في **احتفاظه بحبه لوطنه وتمجيد مآثر أمته.** ويلاحظ أن شعراء المهجر الجنوبي كانوا أكثر حرصاً من شعراء المهجر الشمالي في الكشف عن العنصر الحضاري لأمتهم وربما كان للبيئة الشمالية التي أغرت أصحابها بالعنصر المادي دخل في هذا.

على أن هذه الملاحظة لا تعني أن شعراء المهجر الشمالي قد تخلو عن إخوانهم العرب

في محنتهم وتخلفهم، ولا يعني أيضاً تخليهم عن اعتزازهم بمآثر أمتهم وأمجادها وحضارتها، فهذا هو الشاعر (إيليا أبو ماضي) تستصرخه أحداث بلاده وتخلفها واستسلام أهلها ، فيستنهض أبنائها ويستفز مشاعرهم الوطنية وأحاسيسهم القومية ضد الاحتلال والتخلف والتعسف، وله في هذا قصائد مثل(**الشاعر- والشاعر والأمة -والعميان- وتبر وتراب)** وغيرها من القصائد التي تعد من غرر القصائد القومية والوطنية وباستقراء معانيها تبين موقف الشاعر من أمته وبني وطنه ففيها يظهر حبه . ومن ذلك تعبير **نعمة الحاج** عن حسرته على فراق الوطن والأحباب بالقول

تذكرت أهلي في النوى وبلاديا وقد طال شوقي للحمى وبعاديا

تطير لها نفسي من الوجد والجوى ويمسي لها دمعي على الخد جاريا

2/ على أن أشد الظواهر الشعرية صلة بنزعتهم القومية **ظاهرة الحنين** التي تجسدت فيها عواطفهم الوطنية وأحاسيسهم الإنسانية ومواقفهم النبيلة تجاه أهلهم وذويهم. ويلاحظ أن الحنين إلى الوطن قد سيق بأسلوب رقيق يتغلف برمزية خفيفة تدعو إلى حياة الغاب والعودة إلى الطبيعة بعيداً عن صخب الحياة المادية والحضارية التي انحرفت بالإنسان عن إنسانيته وحولته بعد براءته المعهودة إلى ذئب ضار تمتد مخالبه إلى إنسانية الإنسان لتسلبه أعز مضامينها. ولذلك لم تكن قصائد الغاب وصفاً للطبيعة بل جاءت دعوة إلى الحياة الفطرية التي فطر عليها الإنسان منذ آلاف السنين.

رابعاً- الاتجاه الوصفي:

ونقصد به وصف الطبيعة وموقف شاعر المهجر منها وطريقة التعبير عنها. وأول ما يطالعنا من مظاهر الطبيعة التي وصفها شعراء المهجر وعلى ما فيها من مظاهر مختلفة إلا أن وصفه ينفرد بخصوصية معينة وهي أنها تتلفع برمزية معينة، لأن الغاب وما فيه لا يوصف أو يستوحى كما هو الشأن في المظاهر الطبيعية الأخرى وإنما الهدف منه التمرد على الحياة المعقدة وهذه الحياة هي التي دفعتهم إلى نشدان حياة الغاب ناهيك عن أنهم أرادوا بهذا الغاب لبنان وسوريا التي تركت فراغاً في نفوسهم لذلك فإن شعر الغاب كان له أثر من آثار الحنين .

1/ وأول ما لفت نظر شعراء المهجر إلى الطبيعة **الليل** فجبران مثلاً يعجبه الليل ويتجاوب معه ويشعر نحوه بالألفة والصداقة، وأبو ماضي يحن إلى الليل ويناغي حبيبته في ظلامه،

ونسيب عريضة يطيل التأمل في الليل ويستوحي عظمة الطبيعة لأنه يوحي بالعمق وهو وسيلة للتأمل والبحث عن طريق الخلاص.

2/ ويجيء **البحر** في المرتبة الثانية في وصفهم للطبيعة وموقفهم الاستيحائي من البحر كموقفهم من الليل فقد استوحوا من اضطرابه اضطراب نفوسهم واستوحوا من مده وجزره ما تتروا فيه نفوسهم من حنين وتطلع إلى ما وراء الطبيعة، فكان البحر هو الجسر الذي يربطهم ببلدهم ذلك أن لبنان هو بلد ساحلي.

3/ وفيما عدا الليل والبحر استعانوا أيضاً بمظاهر طبيعية أخرى مثل **الأنهار والأزهار والرياض والطيور** وشكلت الرياض في شعرهم وحدة طبيعية متكاملة تحتشد بالألوان والأشكال وتعبق **بالروائح والعطور.**

4/ وقد ارتبطت مظاهر الطبيعة عند شعراء المهجر **بالزمن** فكان **فصل الخريف** أقرب فصول السنة إلى نفوسهم الآسية ومشاعرهم الدافقة**(عللي)** وهي ظاهرة نجد أثرها لدى كل الشعراء الرومانتيكين في العالم كله ، إذ تسقط أوراق الأشجار في هذا الفصل وتمر بفترة سبات بعيدة عن الحيوية والنشاط وقد استوحى الشعراء الرومانتيكيون ذبول نفوسهم وخيبة آمالهم وفشل حبهم من هذا الفصل الذي تسبت فيه الطبيعة بل إن أحدهم قد استوحى اسم ديوانه من أوراق هذا الفصل فسماه أوراق الخريف وللشاعر ندرة حداد مقطوعة بعنوان **الخريف** فاقترن الخريف لدى شعراء المهجر بحالتهم النفسية. إذ يدل الخريف على نهاية شيء وبداية شيء جديد وهو من أكثر الفصول شاعرية، ونهاية لمرحلة الشباب وبداية مرحلة الوقار والنضوج وأجمل ما فيه تساقط الأوراق لتكون إيذاناً لبدء الفصل الأطول في لبنان وهو الشتاء.

إن استيحاء الخريف لدى شعراء المهجر يؤكد تجديد شعراء المهجر في موضوعات الشعر العربي، إذ لم يكن هذا الفصل في الشعر القديم يختلف عن غيره من فصول السنة على الرغم من اختلاف طبيعته لكن شعراء المهجر من أوائل الذين منحوا فصل الخريف هذا المعنى المبتكر، إذ ربطوا بين مظاهره ومظاهر الإنسان الذي يشبهه ولذلك كانت عنايتهم بهذا الفصل أكثر من اهتمامهم بفصل الربيع على عكس ما حصل في الشعر العربي القديم الذي حفل بالعناية بالربيع لأنه يمنح البهجة للإنسان ويعبر عن الحيوية الدافقة في ذاته.

ولم ينس شعراء المهجر **فصل الربيع** لما فيه من جمال وسحر وما يوحي من دفق وحيوية وانشراح وبهجة وما كان لشعراء المهجر أن يتغافلوه وبلادهم تمثل ربيعاً دائماً تكسوه

الخضرة وتغطيه الثلوج وتملؤه الأشجار. أما فصل **الشتاء** فيبدو أنهم لم يميلوا إليه فشكوا من طوله لما يثير في نفوسهم من ضيق وانقباض.

جبران خليل جبران: هو جبران بن خليل بن ميخائيل بن سعد من أحفاد يوسف جبران الماروني اللبناني نابغة الكتاب المعاصرين في المهجر الأمريكي أصله من دمشق، نزح أحد أجداده إلى بعلبك ثم انتقل إلى (بشري) وفيها ولد شاعرنا 1300هـ – 1838م، وهو الولد البكر لأهله على كبر لامرأة مات عنها زوجها الأول (أبو جبران) وتزوجت أم جبران رجلاً آخراً وأنجبت منه ولدين، كان من أسرة متوسطة تعيش على ما تكسب فاضطروا لذلك إلى الخروج إلى المهجر حصلت له انتقالات كثيرة بين دمشق وبعلبك كان والد جبران رجلاً سكيراً لا يكاد يفيق ما ترك في نفسه أثراً كبيراً وكانت له خصومات كثيرة، أصيبت العائلة كلها بمرض السل وكانت هذه مشكلته وتوفي هو بهذا المرض أيضاً.

الخصائص الفنية لشعر جماعة المهجر والتجديد على صعيد الشكل والمضمون:

أولاً– الأوزان والقوافي:

مال شعراء المهجر عن البحور القديمة الطويلة ،واهتموا بالبحور القصيرة المجزوءة، وسلكوا طريقهم إلى فن الموشح **(عللي)** لما فيه من عذوبة وحيوية وبساطة، لأنه يستوعب المشاعر الإنسانية الذاتية ويتميز بطوله وتعدد أجزائه، وصاغوا موشحاتهم على مختلف البحور مخالفين بذلك أسلافهم الأندلسيين الذين نظموا الموشح في بحور محددة، وهذا ما أتاح لشعراء المهجر التجديد في الصياغة والموسيقى الشعرية، لكنهم لم يتجاهلوا بحور الشعر العربي القديمة فقد تمسك بعضهم بها أيضاً.

وأما القوافي فمن أكثرهم تغييراً للقوافي وتنويعاً فيها الياس فرحات ونسيب عريضة وأمين الريحاني، وهذا ينسجم مع دعوة بعضهم إلى التحرر من الأشكال التعبيرية في القصيدة فقد دعا ميخائيل نعيمة إلى تحطيم القافية وطبق دعوته على أشهر قصائده **(النهر المتجمد)** وكتب إيليا أبو ماضي قصيدة **(لست أدري)** على غرار المربعات، وهذا التسامح في مواقفهم أزاء البحور والقوافي انتهى لدى بعضهم إلى ما هو أقرب إلى قصيدة النثر أو الشعر المنثور.

ثانياً– اللغة والأسلوب

اتسم الشعر المهجري بضعف اللغة إلا أن قسماً منه حقق التجديد فيها، ولا سيما في

المفردات والألفاظ التي طوعوها في منهجهم في التحرر والتجديد والخروج عن المألوف، فقد توخى شعراء المهجر الكلمات الموحية والألفاظ السهلة البسيطة على غرار ما فعل العقاد في ديوانه (عابر سبيل) ، ولكن هذا أوقعهم في استعمال الألفاظ العامية، ومن أمثال ذلك استعمال إيليا لكلمة **غرابيب** بدل غربان، وقد سوغ بعض الشعراء لأنفسهم استعمال بعض الألفاظ الاجنبية وفي مقدمتهم رشيد أيوب الذي استعمل العديد من الألفاظ مثل **الأشعة والراديو والدولار والكمنجة والقيثارة** وغيرها. والواقع أن شعراء المهجر قد دعوا إلى إلغاء الفروق بين لغة الشعر ولغة النثر، وأهم ميزة بين الشعر والنثر أن الشعر يلجأ إلى التأثير الوجداني عبر الخيال في حين أن النثر يلجأ إلى الإقناع والمحاججة والتأثير العقلي.واختلف الدارسون في حكمهم على أسلوب شعراء المهجر وما تبعه من خرق لقواعد اللغة وقد نعتهم البعض بالتمرد على اللغة والخروج على أصولها وهو ليس كذلك بل هو رغبة في التجديد.

عللي/ تعد البساطة في التعبير والرقة الغنائية عماد الشعر المهجري عامة.

1- وربما تأتى لهم هذا من الحرية الفنية التي ألزموا أنفسهم بها.

2- قدرتهم على التكيف للبيئة الجديدة التي صارت وصلاً بينهم وبين الثقافة الغربية.

3- الكثير منهم لم يحيطوا بالعربية وبإسرارها اللغوية والأسلوبية احاطة واسعة.

4- هذا وقد نعت محمد مندور أسلوب المهجريين بصبغة الشعر المهموس، وذلك لشفافيته ورقته وعذوبته وربما هم يكثرون من أصوات الهمس.

5- كما استعملوا الرمز الذي صار وسيلة للتعبير عن مكنونات نفوسهم الحالمة ويتضح الرمز في شعر جبران بوصفه ظاهرة متميزة في مقطوعته الشهيرة **حفار القبور** ولأبي ماضي في قصائد **التينة الحمقاء، والقدير الطموح والابريق.**

6- وقد استعمل شعراء المهجر الحوار في شعرهم القصصي وغير القصصي وبلغوا في تجديده مستوى جيداً لم نألفه في شعرنا العربي.

ثالثاً- الوحدة العضوية:

من أهم المسائل الفنية التي حققها شعراء المهجر في شعرهم الوحدة العضوية فقد تحدث عنها ميخائيل نعيمة في **(غربااله)**، ولكن الحق يقتضي أن ننوه بسبق جماعة الديوان إليها إذ وردت لدى العقاد وشكري والمازني وبشكل دقيق يدل على فهم لطبيعتها ووظيفتها في القصيدة.

وحقق شعراء المهجر في مجال الوحدة العضوية ما يسمى **بـ(وحدة المجموعة الشعرية)(عرفي)** فأصبح ديوان الشعر يضم طائفة من القصائد ذات طابع معين يكاد يكون مشتركاً بينها وأصبح له اسم يمت بصلة إلى هذا الطابع، ونلمس ذلك في ديوان **(أوراق الخريف)** لندرة حداد، **و(الأرواح الحائرة)** لنسيب عريضة، **و(أغاني الدرويش)** لرشيد أيوب، **و(همس الجفون)** لميخائيل نعيمة، **و(الأعاصير)** للشاعر القروي، **و(أحلام الراعي)** لإلياس فرحات.

رابعاً- الصورة الشعرية:

أما التعبير بالصورة فقد حققه شعراء المهجر لكن جبران ونعيمة والريحاني يحتلون في ذلك مركز الصدارة. وقد اعتمد شعراء المهجر التعبير بالصورة عن وعي وبصيرة إذ ينتقلون من الصورة الجزئية إلى **الصورة الكلية:** التي تصور مشهداً كلياً أو توضح شيئاً مترابطاً فيما يمكن أن نسميه لوحة، وينتقلون من اللوحة إلى وحدة القصيدة برمتها ، إذ تعد القصيدة صورة موحدة وتعتمد اللوحة بدورها على مجموعة من الصور الجزئية التي تتآزر على رسم معالمها، كما تتآزر الخطوط والألوان على رسم لوحة.

ومن الشعراء الذين أجادوا رسم الصور الشاعر القروي، إذ له لوحات متماسكة في قصيدة **)القيصر وتولستوي)** وقصيدة **(سقوط أورشيلم وأرتيا)** ومنهم أيضاً إلياس فرحات وشفيق المعلوف وأبي ماضي الذي نستطيع أن نجد له مجموعة من الصور المتميزة بدواوينه ومنها قصائد **السجينة- والطليقة -وفلسفة الحياة -والطلاسم- والطين والماء- وابن الليل- والحكاية الأزلية- والفقر.**